

إرشاد العبيد
إلى كيفية تحقيق التوحيد

لِأَبِي سُلَيْمَان القُرَشِي (قناص كركوك)

الطبعة الأُولى
رجب 1445 هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

▪ المقدمة:

الحمد للَّـه والصلاة والسلام على رسول اللَّـه، سبحانك اللَّـهم لا علم لنا إِلَّا ما علمتنا إِنَّكَ أَنتَ العليم الحكيم، أَمَّا بعد، إِنَّ أَغلب الناس ممن ينتسبون إِلى الإِسلام قد أَضاعوا دينهم وجهلوا حقيقة التوحيد، وجهلوا الكفر وهان عليهم أَمره، وإِنَّ أَغلبهم يظنون أَنَّ التوحيد هو فقط أَنْ تؤمن في قلبك باللَّـه إِلهًا واحدًا وبنبيه محمدٍ عليه الصلاة والسلام نبيًّا ثم تؤدي الصلاة وتصوم رمضان، وانتهى، بهذا تكون قد حققت التوحيد عندهم وإِنَّك من أَهل الجنة، ودون تكفير الطواغيت وأَتباعهم، ودون ترك التحاكم إِلى الطواغيت، ودون ولاءٍ وبراء. نعم إِنَّ الإِيمان باللَّـه إِلهًا واحدًا وبنبيه محمدٍ صلى اللَّـه عليه وسلم نبيًّا وأَداء الشعائر من التوحيد، ولكن كل هذا جزء منه، ولا يتحقق التوحيد إِلا بالكفر بالطاغوت والإِيمان باللَّـه وصفاته، وبالبراءة من المشركين وموالاة الموحدين، وتجنب الكفر والشرك بكل صوره المخرجة من الإِسلام. ويظنون إِنَّ الشرك هو فقط متعلق بعبادة الأَصنام كما كانت تفعل العرب في الجاهلية، والكفر مرتبط فقط بالإِلحاد، وما يدرون إِنَّ دعاءَ غير اللَّـه شرك، وسب اللَّـه كفر، والتحاكم إِلى الطاغوت شرك، وموالاة الحكومات الطاغوتية وجيوشها وتمني ظهورهم وانتصارهم على الموحدين كله كفر. وبسبب تفشي الكفر بين الناس وموتهم عليه وهم يحسبون أَنهم مسلمون وهم ليسوا كذلك، قررتُ أَنْ أُبين للمنتسبين إِلى الإِسلام الذين يظنون أَنهم مسلمون دون تحقيق التوحيد، ولعموم الناس من اليهود والنصارى وغيرهم، كيف يحققون التوحيد ويدخلون الإِسلام، ويتجنبون الكفريات والشركيات المتفشية التي تنقض توحيدهم وتجعل أَعمالهم الصالحة من صلاة وصوم وصدقة وحج هباءً، حتى ينجوا من النار وتكون عاقبتهم الجنة - إِنْ شَاءَ اللَّـه - وبالتفصيل والأَدلة الشرعية من القرآن والسنة.

■ التوحيد لغة واصطلاحًا:

التَّوحيد لغةً: مصدر وَحَّدَ يُوَحِّد توحيدًا، أَي: جعل الشيءَ واحدًا، وأَصل التوحيد في اللغة إِفراد الشيء عن غيره، وشرعًا: إِفراد اللَّـه تعالى في ذاته وفي الأُلوهية والربوبية والأَسماء والصفات.

1- إِفراد الله في ذاته: اعتقاد وحدانيته وتقدسه وتنزهه عن الوالد والولد والزوجة.

2- إِفراد الله في الأُلوهية: إِفراده بالعبادة.

3- إِفراد الله في الربوبية: اعتقاد كونه المتصرف، المدبر، الرزاق، لا شريك له في أَفعاله.

4- إِفراد الله في الأَسماء والصفات: إِثبات صفاته التي وصف نفسه بها، ونفي ما نفاه عن نفسه وعدم تعطيل صفاته بالنفي والتأويل أَو تشبيهها.

■ كيف يحقق المرء الإِسلام:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّـهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ" [سنن الترمذي].

على ضوء هذا الحديث سنبين كيف يحقق المرء الإسلام ويكون موحدًا خارجًا عن الوعيد ويكون بإذن اللَّـه أهلًا لنيل رحمة اللَّـه.

■ الشهادتان:

الشهادتان تتضمنان أَمران، الأَول الشهادة بأَنَّ لا إِله إِلا اللَّـه، والثاني بأَنَّ محمدًا عليه الصلاة والسلام رسولُ اللَّـه.

وشهادة أَنْ لا إِلٰه إِلَّا اللَّـه تتضمن النفي والإِثبات ولها شروط.

لا إِلٰه: نفي الأُلوهية عن غير اللَّـه وهو الكفر بالطواغيت.

إِلَّا اللَّـه: إِثبات الأُلوهية للَّـه، وهذا إِيمان باللَّـه.

وأَمَّا الشهادة بأَنَّ محمدًا رسول اللَّـه: فهي الإِقرار برسالته والإِيمان به مرسلًا من اللَّـه والتصديق بما قاله، والشهادتين ليستا مجرد قول باللسان أَو مجرد لفظ، وَإِنَّما قول وعمل واعتقاد. وبعد هذا الشرح الميسر المختصر للشهادتين سنبين لكم ما هو الكفر بالطاغوت وكيف يتحقق التوحيد.

■ الكفر بالطاغوت:

شرط تحقيق الإيمان باللّـه هو الكفر بالطاغوت، ولا يتحقق التوحيد إلا بالكفر بالطاغوت، قال اللّـه عز وجل: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّـهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّـهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة].

أولًا: معنى الطاغوت لغة واصطلاحًا:

الطاغوت لغةً: من طغى ويطغى وطغيانًا، وهو مجاوزة الحد وكل ما جاوز حده فقد طغى وهو طاغٍ.

الطاغوت اصطلاحًا: هو تجاوز العبد حده في العبادة والطاعة والحكم، فحد العبد أنْ يعبد اللّـه، فإذا دعا إلى عبادة نفسه أَو رضي أن يعبده الناس فهو طاغوت، وإذا حكم بغير ما أَنزل اللّـه فهو طاغوت، وَإذا دعا الناس إلى طاعته في استحلال ما حرم اللّـه فهو طاغوت.

ثانيًا: رؤوس الطواغيت:

1- إبليس: وهو الشيطان والطاغوت الأكبر، قال اللّـه عز وجل: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة يس].

2- المغير لحكم اللّـه الذي يُشَرّع القوانين الوضعية: التشريع من خصائص اللّـه، قال اللّـه عز وجل: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [سورة يوسف]، وقال: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف]، وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّـهُ﴾ [سورة الشورى]، ومن غَيَّرَ حكم اللّـه فهو طاغوتٌ جعل نفسه ندًا للّه.

3- الذي يدَّعي علم الغيب: لا يعلم الغيب إلّا اللّـه، قال اللّـه عز وجل: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّـهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة النمل]، ومن زعم أَنه يعلم الغيب فقد جعل نفسه ندًا للّه، وهذا يشمل الساحر والكاهن وقارئ الفنجان والكف وما يسمى بقارئ الأَبراج (المنجم).

4- الحاكم بغير ما أَنزل اللّـه: قال اللّـه عز وجل: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّـهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المائدة]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء]، ويشمل الحكام (الرؤساء والملوك والمحافظين والولاة وغيرهم)، والقضاة ورؤساء العشائر الذين يحكمون بين الناس بالأَحكام والقوانين العشائرية ونحوهم.

5- من دعا الناس إِلى عبادته أَو رضي أن يكون معبودًا: وهذا قمة الطغيان إذ يجعل العبد نفسه ندًا للَّه في أُلوهيته.

ثالثًا: صفة الكفر بالطاغوت:

يتحقق الكفر بالطاغوت: باعتقاد بطلان عبادته، وتكفير الطاغوت لو كان بشرًا وتكفير أتباعه وأَهله وجنوده والبراءة منهم أَجمعين، وترك تحكيم الطاغوت والتحاكم إِليه وإِلى ما شرعه.

الأَدلة على ما ذكرنا:

1- الكفر بالطاغوت واعتقاد بطلان عبادته: قال اللَّـه عز وجل: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّـهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّـهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة]، وقال اللَّـه عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّـهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل]، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّـهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [سورة الزمر].

2- تكفير أتباعه وَأَهله وجنوده: قال اللَّـه عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّـهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّـهِ وَحْدَهُ﴾ [سورة الممتحنة]، وقال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [سورة القصص]، وقال: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّـهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّـهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة المجادلة].

3- ترك تحكيم الطاغوت والتحاكم إليه وَإِلى ما شرَّعه: قال اللَّـه عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء]، وقال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سورة النساء].

نضرب لكم مثلًا في هذه المسألة: الحكومة العراقية مثلًا، حكومةٌ طاغوتيةٌ ورأس الحكومة ووزراءها ومجلس نوابها كلهم طواغيت، ولا يتحقق توحيد المرء إلَّا بالكفر بهؤلاء الطواغيت وتكفيرهم والبراءة منهم، وليس هذا فحسب، بل يجب كذلك تكفير أَتباعهم من الجنود المتمثل بالجيش العراقي والشرطة العراقية ومَنْ نحوهم، وتكفير من يناصرهم من الإعلاميين وعلماء الطواغيت وغيرهم وتكفير من يعتقد بإسلامهم، فمن يحكم بإِسلامهم لم يحقق الكفر بالطاغوت، وكذلك يجب ترك التحاكم إِلى محاكمهم الوضعية وتكفير من تحاكم إليهم.

وليست الحكومة العراقية فقط حكومة طاغوتية، وَإِنَّما كل الحكومات في العالم حكومات طاغوتية ينطبق عليها ما ينطبق على الحكومة العراقية، ومن كَفَّرَ الطواغيت وجنودهم وأَتباعهم ومناصريهم وتجنب التحاكم إِليهم، وتجنب سائر نواقض الإِسلام فقد حقق التوحيد.

■ الإِيمان باللَّـه:

وأَمَّا معنى الإِيمان بالله: هو أَن تعتقد بأنَّ اللَّه هو واحدٌ ولم يلد ولم يولد، ولا إِلٰه إِلَّا هو، وهو معبود ولا يعبد غيره، وتخلص له بالعبادة، وتعتقد بأَنَّه الواحد القهار الملك الرزّاق عالم الغيب والشهادة، له الأَسماء الحسنى والصفات العلا، وتوالي المؤمنين بالله وتحبهم وتعادي المشركين وتبغضهم.

▪ شروط لا إله إلَّا اللَّـه:

لا إلٰه إلا الله، كلمة التوحيد ولها شروط.

1- العلم: وهو ينافي الجهل، عَنْ عُثْمَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ" [صحيح مسلم]، ومن قال لا إلٰه إلَّا الله جاهلًا بحقيقة قوله ومعناه، فلن تنفعه هذه الكلمة، وكذلك من قالها ولم يحقق الكفر بالطاغوت فهو غير عالم بهذه الكلمة وجاهلٌ لحقيقتها ومعناها.

2- اليقين: وهو ينافي الشك، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحجرات]، وفي الحديث قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "...اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ" [صحيح مسلم]. ومن قال لا إلٰه إلَّا الله شاكًّا فلن تنفعه هذه الكلمة.

3- الإخلاص: وهو ينافي الشرك، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة الزمر]، قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ" [صحيح مسلم]. ومن قال لا إلٰه إلَّا الله وهو يشرك بالله ويفعل نواقض الإسلام فلن تنفعه هذه الكلمة.

4- الصدق: وهو ينافي الكذب، قال الله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة المنافقون].

5- القبول: وهو ينافي الرد، قال الله عز وجل: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [سورة البقرة]، ومن قال لا إلٰه إلَّا الله وهو يردُّ ما أَنزل الله ويأبى قبول حكمه فلن تنفعه هذه الكلمة.

6- الانقياد: ويكون بالعمل، وقد جاء قرن الإيمان بالعمل في مواضع كثيرة من كتاب الله، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [سورة الحشر]، ومن قال لا إله إلَّا الله وهو تارك للعمل فلن تنفعه هذه الكلمة.

7- المحبة: وهي تنافي البغض، قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة].

■ الولاء والبراء:

عقيدة الولاء والبراء، أَصلان من أُصول الإيمان، ولا يتحقق التوحيد إلَّا بهما، وهما من أَوثق عرى الإيمان، وهما الحب لله والبغض لله، ويكون الولاء للمسلمين والبراء من الكافرين.

الولاء لغةً واصطلاحًا:

1- الولاء لغةً: هو المحبَّةُ والنُّصرةُ والقُربُ، والمُوافَقةُ، يقال: وَالى فُلانٌ فُلانًا: إِذا أَحَبَّه وَنَصره ووافقه.

2- الولاء اصطلاحًا: هو موالاة المسلمين ومحبتهم في الله ونصرتهم لله، قال الله عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة]، قال أبو جعفر الطبري: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ وهم المصدقون بالله ورسوله وآيات كتابه, فإِنَّ صفتهم: أَنَّ بعضهم أنصارُ بعض وأعوانهم" [جامع البيان].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات]، وقَالَ النبي صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" [صحيح البخاري]، وفي هذا الحديث يبين النبي صَلَّى اللَّـهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبهى صور موالاة المسلمين، وكذلك من صور الولاء: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصيانة أَعراض المسلمين وفكاك أَسراهم.

البراء لغة واصطلاحًا:

1- البراء لغة: وهو البُعدُ والبُغضُ والتنزه والعداوة وقطع الصلة والولاية، وهو عكس الولاء.

2- البراء اصطلاحًا: وهو بغض الكفار ودينهم ومعاداتهم لأَجل كفرهم، والتنصل من كفرهم، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ **(26)** إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [سورة الزخرف]، وقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [سورة الممتحنة]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة المائدة].

أقسام الولاء والبراء:

1- الولاء التام: وهذا يكون للأَنبياء والصالحين ومستوري الحال من المسلمين.

2- البراء التام: ويكون من الكفار.

3- الولاء من وجه والبراء من وجه آخر: ويكون الولاء للمسلم الفاسق من وجهٍ لإيمانه وتوحيده، والبراء منه من وجهٍ آخر لمعصيته ومنكراته، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ" [صحيح البخاري].

وتجب موالاة المسلم وإنْ كان ظالمًا وفاسقًا، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة الأنفال].

وتجب البراءة من الكافر وإنْ أَحسن إليك وأعطاك العطايا والكنوز وإن كان قريبًا، وقال الله عز وجل: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة المجادلة].

■ نواقض الإسلام[1]:

تظن الأَغلبية إنَّ دخول الإسلام يتم بمجرد النطق بالشهادتين ولن ينقض إسلامهم شيءٌ مهما فعلوا، مستدلين بالأَحاديث التي وردت في فضل قول لا إلٰه إلَّا الله، ولكن استدلالهم ليس في محله، فالأحاديث الواردة تخص من قال لا إلٰه إلَّا الله محققًا الكفر بالطاغوت وشروط التوحيد ومُجْتَنِبًا نواقض الإسلام، فكما للوضوء ما ينقضه ويذهبه، فللإسلام أَيضًا نواقضٌ، وإذا فعل أَو قال أَو اعتقد المرء بناقضٍ واحدٍ من هذه النواقض فقد خرج من الإسلام، ولن يعود إليه إلا من نفس الباب، وذلك بالتوبة والتراجع من الناقض الذي وقع فيه، مع الإقرار بالذنب والعزم على عدم العودة، والنطق بالشهادتين. ونواقض الإسلام كثيرةٌ، ونقتصر في بحثنا هذا على ذكر ما تفشى من نواقض الإسلام في هذا الزمان، التي من فعل ناقضًا واحدًا منها يسمى مرتدًا كافرًا.

[1] نواقض الإسلام كثيرة وليست عشرة كما يظن بعض الناس، وذكرت في هذا الكتاب نواقض الإسلام الشائعة والمتفشية بين الناس في هذا الزمان.

1- الشرك: وهو جَعلُ ندٍ وشريك لله في العبودية أَو الربوبية أَو الأَسماء والصفات، أَو الطاعة أَو المَحبة، ويكون على النحو الآتي:

أَولًا: شرك الأُلوهية: وهو جَعلُ شريك لله في العبادة، ويكون بصرف العبادة لغير الله، كمن يعبد الأَصنام والأَشخاص والقبور، وصور الشرك في العبادة كثيرة، كدعاء غير الله والذبح لغير الله والسجود لغير الله واتخاذ الأَوثان والأصنام وغير ذلك.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء]، وقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [سورة المائدة].

وفي زماننا مثل هذا الشرك كثير، كشرك الصوفية والرافضة الذين يسجدون للقبور ويدعون الأَموات، ويذبحون لغير الله، وهذا ما وقع فيه المشركون في الجاهلية.

ثانيًا: شرك الربوبية: وهو جَعلُ شريك لله في أفعاله، كاعتقاد وجود خالق أَو رازق أَو مدبر أَو مُشرّع مع الله، قال الله عز وجل: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سورة سبأ].

ومن صور هذا الشرك في هذا الزمان هي الانتخابات، التي يقوم فيها المرشحون بتشريع القوانين الوضعية، وإباحة الحرام، وتحريم الحلال، ومن انتخبهم فقد اتخذهم ربًّا من دون الله، وكذلك ما تسمى بـ"لجنة كتابة الدستور"، التي يشرّعون من خلالها الحرام للناس، ويضعون لهم أَحكامًا تُضَادُّ أَحكام الشريعة.

ثالثًا: شرك الأَسماء والصفات: ويكون بتعطيل الأَسماء والصفات ونفيها أَو تشبيهها بصفات المخلوقين أَو تشبيه صفات بعض المخلوقين بالله، ومثال على هذا، الجهمية والأَشاعرة الكفرة الذين ينفون صفات الله ويعطلونها، والمشبهة الذين يشبهون الله

بالبشر، وتشبيه صفات بعض المخلوقين بصفات الله، كاعتقاد إِنَّ أَمريكا ترى كل شيء وتعلم كل شيء وتستطيع فعل أَي شيء، وهذا القول منتشر بين ضعاف النفوس الجبناء.

رابعًا: شرك الطاعة: وهو طاعة البشر في تحليل الحرام أَو تحريم الحلال، قال الله عز وجل: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ **[سورة التوبة]**، وروى الطبري في تفسيره أَنَّ حذيفة رضي الله عنه سئل عن الآية، أكانوا يعبدونهم؟ قال: لا، كانوا إِذا أحلُّوا لهم شيئًا استحلوه، وَإِذا حرَّموا عليهم شيئًا حرَّموه.

خامسًا: شرك المحبة: وهو حب وتعظيم غير الله كحب الله، قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ **[سورة البقرة]**.

2- جَعلُ المَرءِ الوسائط بينه وبين الله: كمن يدعو أَصحاب القبور أَو يطلب منهم الدعاء ويستغيث بهم أَو يتقرب بهم إِلى الله، قال الله عز وجل: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ **[سورة الزمر]**، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ **(20)** أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ **[سورة النحل]**.

3- اعتقاد أَنَّ غير هدي النبيِّ أَفضل أَو أَكمل من هديه: كمن يفضل أَحكام الطواغيت وشرائعهم، ومن فضل شيئًا على الشريعة أَو على هدي النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقد ابتغى غير الإِسلام دينًا، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ **[سورة آل عمران]**.

4- بغض الأَحكام الشرعية وما جاء به النبيُّ: من كره شيئًا من الدين فقد كفر وإِنْ عمله، فمن كره الصيام مثلًا فهو كافر وإِنْ صام، قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (8) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد].

5- الاستهزاء بالدين: وهذا الناقض من النواقض المنتشرة بكثرة بين الناس، ومع الأَسف هو منتشر حتى عند بعض من يدعي التوحيد والكفر بالطاغوت وحب الجهاد.

والاستهزاء يكون بالانتقاص من أَمرٍ من أُمور الدين أَو المزاح والضحك بأَمر من أُمور الدين، ومن هذا ما يسمى بـ"النكات" التي يقولها التافهون، بل وصل الأَمر ببعضهم إِلى نشر صورٍ فيها انتقاص من الجنة والنار والاستهزاء بهما وغير ذلك، وكل هذا كفر سواءً قصد المرء أَو لم يقصد، سواءً كان جادًا أَو هازلًا مازحًا.

قال الله عز وجل: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة التوبة].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ.» [صحيح البخاري].

فالحذر الحذر، وقد خرج خلق كثير من الإِسلام بسبب هذا الناقض ونسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة.

6- السحر: ويكون بالاستعانة بالشياطين لتحقيق بعض الغايات الدنيئة، ولا يكون السحر إلَّا عن طريق الكفر وحيث يتقرب الساحر إِلى الشياطين ليحققوا له ما يريد، ومن السحر الصرف والعطف، والصرف هو صرف الرجل عن محبة زوجته مثلًا، والعطف هو جعل الرجل يحب ويهوى ما لم يكن يحبه. قال الله عز وجل: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ

النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة]، والكفر يشمل الساحر والمستعين به والراضي به ومن سأله علم الغيب.

7- مظاهرة المشركين على المسلمين: وهي معاونة الكفار على المسلمين سواءً كان بالقول أَو العمل أَو تمني انتصارهم وظهورهم في القلب، ومنها: التجسس على المسلمين لصالح المشركين، ونصرتهم بالقتال معهم وإعانتهم في حربهم على المسلمين، كبيع السلاح لهم، وبناء الحصون لهم، ونقل الامدادات إليهم كالوقود والطعام والشراب وغيره، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة المائدة].

قال الطبري: "فَإِنَّ مَنْ تَوَلَّاهُمْ وَنَصَرَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ دِينِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ، فَإِنَّهُ لَا يَتَوَلَّى مُتَوَلٍّ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ بِهِ وَبِدِينِهِ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ رَاضٍ، وَإِذَا رَضِيَهُ وَرَضِيَ دِينَهُ فَقَدْ عَادَى مَا خَالَفَهُ وَسَخِطَهُ، وَصَارَ حُكْمُهُ حُكْمَهُ" [جامع البيان].

8- الإعراض عن دين الله: من أَعرض عن دين الله ولم يطلب تعلم ما يحقق له أَصل الدين وما يكون المرء به مسلمًا ولم يعمل به فهو كافر، قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [سورة الأحقاف].

9- التحاكم إلى الطاغوت: وهذا الناقض من النواقض المتفشية بشدة والذي وقع فيه الكثير لغياب المحاكم الشرعية.

التحاكم: هو طلب الحكم من جهة معينة أَو شخص معين ليفصل في نزاع ما ويحكم بين المتخاصمين، وأركان التحاكم ثلاث: الحاكم وطرفي النزاع، ولا يجوز التحاكم إلَّا إلى شرع الله، يحكم به حاكم مسلم، وأَمَّا التحاكم إلى الطاغوت فهو كفرٌ: قال اللّه

عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[سورة النساء]، وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[سورة النساء].

والمرء مطالب بالتحاكم إلى شرع الله ورد النزاع والخلاف إلى الله ورسوله في كل مسألة صغيرة كانت أو كبيرة، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[سورة النساء]، وقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[سورة الشورى].

مسألة: من النوازل في مسألة التحاكم إلى الطاغوت هي مسألة الإبلاغ عن الحسابات في مواقع التواصل الاجتماعي، فمسألة إبلاغ المنصات عن الحسابات المخالفة لقوانين المنصة من التحاكم إلى الطاغوت.

قلنا: أركان التحاكم ثلاث: الحاكم وطرفي النزاع (المُدَّعي والمُدَّعى عليه)، وفي مسألة الإبلاغ أركان التحاكم متحققة، فهناك حاكم (المنصة، كالفيسبوك وتلغرام)، وطرفي النزاع هما المُبَلِّغ والمُبَلَّغ عنه.

لو قام زيدٌ بالإبلاغ عن سعيدٍ في الفيسبوك مثلًا، فما هي الشريعة التي يحكمون بها في هذه القضية؟

الجواب: القوانين الوضعية التي تضعها المنصة (فيسبوك، تلغرام، إنستغرام وغيرها).

ولهذا حقيقة الإبلاغ هي قيام فلان برفع قضية إلى الشركة، مفادها فلان خالف قوانينكم، مثلًا استعمل ما يسمونه خطاب الكراهية، (ومن معاني الكراهية عندهم الجهر بالدين وتكفير الكفرة)، وهنا تأتي الشركة وتنظر في القضية وترى صحة دعوى المُدعي وتتحقق من المُدعى عليه (غيابيًّا)، فإذا كانت دعوى المدعي صحيحة وفق قوانين المنصة، تقوم بتقييد حساب المدعى عليه أو إغلاقه.

هنا سؤال هل المدعى عليه مشارك أَو آثم لأنه دخل ابتداءً في المواقع؟

الجواب: لا، أَنتَ في العراق مثلًا، ويذهب فلان ويرفع عليك دعوى قضائية في أَمريكا فيحكمون عليك غيابيًّا وينزلون عليك العقوبات الأَمريكية، أَو قام بنفس الشيء وأَنتَ في العراق ولم تحضر المحاكمة (لأنك إذا حضرت ستكون متحاكمًا إلى الطاغوت) فهل أَنتَ مذنب؟ الجواب لا، إلَّا إن يقوم المدعى عليه بالاستئناف، وهو إعادة المحاكمة، أَو حضور المحكمة للتحاكم.

مسألة: هل الاعتراض على المنصة في حالة تقييد الحساب أَو حظره يعتبر أَيضًا من التحاكم إلى الطاغوت؟

الجواب: نعم، هنا أَنت تطلب من المنصة الاستئناف، وهو إعادة المحاكمة، وبمجرد رفع الاعتراض إلى المنصة ستنظر إلى طلبك، فإذا ظهر لها إنك لم تخالف قوانينها وإِنَّ المدعي قام بإبلاغ كيدي، حكمت المنصة لصالحك ورفعت القيد عن الحساب، أَو رفعت الحظر وأرجعت الحساب إلى سابق عهده، وإذا ظهر لها صدق المدعي وإنك خالف قوانين المنصة هنا ستبقي على الحكم الذي حكمت به أَول مرة.

وهنا يتبين أنه لا فرق بين الإبلاغ عن الحسابات في المواقع والشكوى إلى المحاكم الطاغوتية في الواقع، ولا فرق بين الاستئناف في الواقع والمواقع.

10- نسبة الحوادث إلى الدهر: ناقض آخر من نواقض الإسلام وهو نسبة الحوادث إلى الدهر، والمقصود بالدهر الزمان والوقت والساعة والليل والنهار، ويقول بعضهم الدنيا فعلت بي كذا، وبعضهم يقول الحياة فعلت بي كذا، وكل هذا من نسبة الحوادث إلى غير الله. كل شيء تحت تصرف الله عز وجل بلا شك، وهو المدبر المتصرف والمقدر الذي قدر لنا الأقدار، ولكن الجهال ينسبون الحوادث والبلايا التي تصيبهم بما كسبت أيديهم أَو ابتلاءً إلى الدهر أَو الدنيا أَو الحياة، فإذا أصابته مصيبة يقول: الدنيا غدرت بي، وإذا رأى ما لم يعجبه يقول: هذا من أخطاء الزمان، ونسبة الحوادث إلى الدهر من أفعال الجاهلية.

قال ابن قتيبة الدينوري: "إِنَّ الْعَرَبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَتْ تَقُولُ: أَصَابَنِي الدَّهْرُ فِي مَالِي بِكَذَا، وَنَالَتْنِي قوارِع الدَّهْر وبواثقه وَمَصَايِبُهُ. وَيَقُولُ الْهَرَمَ: "حَنَانِي الدَّهْرُ"، فَيَنْسُبُونَ كُلَّ شَيْءٍ تَجْرِي بِهِ أَقْدَارُ اللَّهِ عز وجل عَلَيْهِمْ، مِنْ مَوْتٍ، أَوْ سَقَمٍ، أَوْ ثَكَلٍ، أَوْ هَرَمٍ، إِلَى الدَّهْر"[تأويل مختلف الحديث].

وقال الله عز وجل: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [سورة الجاثية]، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [سورة الطور]، أَيْ رَيْبَ الدَّهْرِ وَحَوَادِثَهُ.

ونسبة الحوادث إلى الدهر شرك أكثر، لأَنَّ الله وحده المتصرف والمقدر ومن نسب فعلًا من الأفعال الخاصة بالله إلى غير الله فقد جعله ندًا وشريكًا لله. ومثل هذا في القصائد كثيرة، مثل قولهم: "رماني الدهرُ" و"أبى الدهر" وغير ذلك.

11- قول الكفر هازلًا (مازحًا): كثير من الناس يطلقون ألسنتهم دون مبالاة، فلا يبالي أحدهم بما قال، ومع الأسف نجد هذا بين من يزعم التوحيد ويريده!! ومن صور عدم مبالاتهم لما يقولونه هو الكلام بالكفر من باب المزاح، مثلًا فلان يمزح مع صاحبه ويقول سأذهب إلى الانتخابات، أَو سأذهب إلى المحاكم الطاغوتية للتحاكم أَو ينصح صاحبه هازلًا مازحًا فيقول اذهب وشارك بالانتخابات أَو اذهب إلى المحاكم الطاغوتية، أَو يقول أَنا كافر أَو أَنا ملحد، أَو يقول صدام حسين رئيسي وسيدي أَو أَنا بعثي وغير ذلك مما يتفوهون به.

قال الله عز وجل: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ﴾ [سورة التوبة].
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ" [صحيح البخاري].

وقال: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ" [صحيح مسلم].

قال أَبو بكر العربي (الأَشعري): "لَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ مَا قَالُوهُ مِنْ ذَلِكَ جِدًّا أَوْ هَزْلًا، وَهُوَ كَيْفَمَا كَانَ كُفْرٌ؛ فَإِنَّ الْهَزْلَ بِالْكُفْرِ كُفْرٌ" [أَحكام القرآن].

قال ابن نجيم الحنفي: "وَالْحَاصِلُ أَنَّ مَنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ هَازِلًا أَوْ لَاعِبًا كَفَرَ عِنْدَ الْكُلِّ وَلَا اعْتِبَارَ بِاعْتِقَادِهِ كَمَا صَرَّحَ بِهِ قَاضِي خَانْ فِي فَتَاوِيهِ وَمَنْ تَكَلَّمَ بِهَا مُخْطِئًا أَوْ مُكْرَهًا لَا يَكْفُرُ عِنْدَ الْكُلِّ وَمَنْ تَكَلَّمَ بِهَا عَالِمًا عَامِدًا كَفَرَ عِنْدَ الْكُلِّ" [البحر الرائق].

قال الزركشي الأَشعري: فَمَنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ هَازِلًا، وَلَمْ يَقْصِدْ الْكُفْرَ كَفَرَ" [الدر المنثور].

حتى عند أَهل البدع التكلم بالكفر هازلًا (مازحًا) كفر، فاتقوا الله وتوبوا إليه واحذروا من إطلاق ألسنتكم، قال الله عز وجل: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق]، وقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "...رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ". ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟" قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: "كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا". فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ" [سنن الترمذي].

ومن صور الهزل واللعب هو التمثيل، فتمثيل الكفر أَيضًا ناقضٌ من نواقض الإِسلام، ولا أَقصد نقل الكفر أَو حكايته عن فلان للضرورة أَو نقل الخبر، وَإِنَّما أقصد الذين يتقمصون الشخصيات الكفرية في الأفلام والمسلسلات فيسجدون للصنم أَو يدعونه أَو يرفعون الصليب أَو يعلقونه على رقابهم وغير ذلك، وكذلك بعض الدعاة اليوتيوبرية والتيكتوكرية، تراهم يقولون الكفر أَو يفعلونه متقمصين شخصية ما حتى يبينوا حكم

وقباحة الكفر!!، ولجهلهم وقعوا في هذا، وهناك طرق أُخرى للتحذير من الكفر فلماذا يختارون طريقًا لا يرضي الله!!، نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة. قال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [سورة الكهف].

12- ترك الصلاة: ترك الصلاة ناقضٌ من نواقض الإسلام، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ" [**صحيح مسلم**].

قَالَ عُمَر بن الْخَطَّاب رضي الله عنه: "لَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ"، وقال: "لَا إِسْلَامَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ" وقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: "مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَهُوَ كَافِرٌ".

وَقَالَ اللَّهُ عز وجل فِيمَا حَكَى عَنِ الْكُفَّارِ أَنَّهُمْ سُئِلُوا بَعْدَ دُخُولِهِمُ النَّارَ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ [سورة المدثر]، فَأَخْبَرُوا أَنَّهُمْ عُذِّبُوا عَلَى تَرْكِهِمُ الصَّلَاةَ، وَإِطْعَامِ الْمِسْكِينَ..." [**تعظيم قدر الصلاة**].

والآثار في هذا الباب كثيرة، ويكفيك ما قاله الله عز وجل ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

13- عدم تكفير الكافر: من لم يكفر الكافر وحكم بإسلامه أَو صحح دينه فهو كافر، وهذا الناقض مجمع عليه، والأَمر فيه تفصيل:

في البداية ما هو تعريف التكفير؟ التكفير: يعني إخراج من وقع في الكفر - ناقضٍ مِنْ نواقض الإسلام - من الملة ونفي الإسلام عنه والحكم عليه بالكفر وتنزيل اسم الكفر عليه، والذي يترتب عليه أحكامًا كثيرة كقطع الموالاة، والتحريم من الميراث وسقوط الولاية والعدالة وغير ذلك، والتكفير على مراتب، وهو على العموم أمرٌ معلوم من الدين بالضرورة، ومسألة التكفير مسألة ظاهرة، وليست مسألةً خفية، والتكفير ليس أَمرًا

خاصًا بالعلماء فقط كما تزعم طائفة من المرجئة، ولا يعرف بالفطرة في كل حال كما تزعم الغلاة الذين يتسلسلون كالمعتزلة.

وأَمَّا تكفير الكفار الأَصليين: فهو نفي الإيمان والإسلام عنهم وإطلاق اسم الكفر عليهم وتنزيل أَحكام الكفر عليهم.

وبيّنّا لكم نواقض الإسلام التي من وقع في واحدٍ منها يكون كافرًا مرتدًا، ونواقض الإِسلام كثيرة كما ذكرنا من قبل، وهذا الناقض – عدم تكفير الكافر – ناقضٌ من نواقض الإِسلام مجمع عليه، فمن لم يكَفّر الكافر يكون كافرًا وإِن كان مُجْتَنِبًا بقية النواقضِ وفاعلًا لجميع العبادات الواجبة والمستحبة، ومناطات (أَسباب) كفر المتوقف عن تكفير الكافر تختلف باختلاف الحال.

وهذا الناقض ليس على إطلاقه، والأمر يعتمد على ظهور الحال وظهور الحكم، فإذا ظهر حال الكافر وكان الكفر الواقع فيه ليس من المسائل الخفية أَو المختلف فيها، فهنا يكفر من لم يحكم عليه بالكفر، ونبين لكم مراتب تكفير الكافر وحكم من توقف عن تكفيره ومناط كفره:

1- تكفير المشركين: تكفير المشركين معلوم بالفطرة والعقل، فكل موحد يعلم إِنَّ من أشرك بالله وعبد غير الله كافر وعلى غير ملة الإسلام، وهذا الأَمر معلوم بالفطرة والعقل، بالإضافة إلى وجود كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

تكفير من عبد غير اللَّـه أَمرٌ يُعرف بمجرد وجود التوحيد، أَي من آمن باللَّـه وعبده إذا رأى من يعبد غير اللَّـه سينفي حكم التوحيد عنه (يكفّره)، حتى لو لم تبلغه الرسالة حقيقةً أَو حكمًا، وذلك لما جاء: عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَائِمًا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ يَقُولُ: يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّـهِ مَا مِنْكُمْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي. وَكَانَ يُحْيِي الْمَوْءُودَةَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ: لَا تَقْتُلْهَا أَنَا أَكْفِيكَهَا مَئُونَتَهَا. فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا تَرَعْرَعَتْ، قَالَ لِأَبِيهَا: إِنْ شِئْتَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتُكَ مَئُونَتَهَا" [صحيح البخاري].

وقال عَمْرُو بنُ عَبسَةَ السُّلَمِي: "كنتُ وأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ" [صحيح مسلم].

فإذا كان نفي التوحيد عن المشركين (تكفير المشركين)، عرفه زيد بن عمرو بن نفيل، وعرفه عمرو بن عبسة السلمي في الجاهلية، ولم يكن عندهما حينئذٍ أَي كتابٍ من كتب اللّه، ولم يكن النبيُّ صلى اللّه عليه وسلم مبعوثًا حينها، فكيف يُعذر من توقف في تكفير من عبد غير اللّه في هذا الزمان، وقد عرف اللّه وبلغه كتاب اللّه، ولهذا من ظهر له شرك فلان من الناس ولم يحكم بكفره فهو كافر واقع في الناقض الذي سبق ذكره، وسبب كفره عدم معرفته الكفر من الإيمان وجهله التوحيد.

قال أبو الحسين الملطي: "وَجَمِيع أَهل الْقبْلَة لَا اخْتِلَاف بَينهم أَن من شكّ فِي كَافِر فَهُوَ كَافِر لِأَن الشاك فِي الْكفْر لَا إِيمَان لَهُ لِأَنَّهُ لَا يعرف كفرًا من إِيمَان، فَلَيْسَ بَين الْأمة كلهَا الْمُعْتَزلَة وَمن دونهم خلاف أَن الشاك فِي الْكَافِر كَافِر" [التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع].

قال عبد الرحمن بن حسن: "قال تعالى في حال من أشرك: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [سورة الزمر]، فكفّره تعالى باتخاذ الأنداد، وهم الشركاء في العبادة، وأمثال هذه الآيات كثيرة، فلا يكون موحدًا إلّا بنفي الشرك، والبراءة منه، وتكفير من فعله" [الدرر السنية].

2- تكفير أَهل الكتاب: معلوم من الدين بالضرورة تكفير أَهل الكتاب وقد جاءت النصوص الشرعية بتكفيرهم فمن نفى الكفر عنهم أَو حكم بإسلامهم فهو كافر، وسبب كفره تكذيب النصوص الشرعية وردها.

قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [سورة البينة].

ومن حكم عليهم بخلاف ما جاء في الآيات فهو مكذب للآيات، قال اللّـه عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة الأنعام]، وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة العنكبوت].

قال البربهاري: "من رد آية من كتاب اللّـه فقد رد الكتاب كله، ومن رد أَثرًا عن رسول اللّـه صلى اللّـه عليه وسلم فقد رد الأَثر كله، وهو كافر باللّـه العظيم" [شرح السنة للبربهاري].

3- تكفير المسلم إذا وقع بناقض من نواقض الإسلام: يظن بعض الناس إِنَّ الإِنسان إِذا نطق بالشهادتين سيكون مسلمًا ولن يخرج من الإسلام مهما كان وهذا الاعتقاد منافٍ لما جاء في الكتاب والسنة، والأَدلة على كفر المسلم إِذا وقع في الكفر كثيرة ونذكر منها:

قال الله عز وجل: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [سورة البقرة]، وقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة التوبة]. وقال: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [سورة الكهف].

وعَنْ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ" [صحيح مسلم].

ولهذا من لم يكفر المسلم إذا وقع في ناقض من نواقض الإسلام فهو كافر لسبب التكذيب، وقد جاءت الأَدلة على كفر من وقع في ناقض من نواقض الإسلام فمن عمل خلافها يكون رادًا ومكذبًا لها.

وإِذا كان الناقض مختلفًا فيه أَو أَنَّ النص لم يصل إلى المتوقف ولم يكن معلومًا من الدين بالضرورة فهو معذور ولا يكفر إِلّا بعد إِقامة الحجة.

▪ وجوب تكفير من وقع في ناقضٍ من نواقضِ الإسلام:

من وقع في ناقضٍ من نواقضِ الإسلام يكون كافرًا مرتدًا، وعليك أَن تحكم عليه بالكفر، ويجب أَنْ تُكفّر كل من وقع في ناقض من نواقض الإسلام، ولا تستثنِ أَحدًا مهما كان من تنزيل الأَحكام الشرعية، قال الله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83) وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنا وَنُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسى وَهارُونَ وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيى وَعِيسى وَإِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْماعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكلاًّ فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ (86) وَمِنْ آبائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوانِهِمْ وَاجْتَبَيْناهُمْ وَهَدَيْناهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (87) ذلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ (88)﴾ [سورة الأنعام]، ذكر الله الأَنبياء ومدحهم، لا توجد مرتبة أَعظم من مرتبة الأَنبياء، ولكن الله عز وجل قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾، فلا تستثنِ أحدًا في تنزيل الأحكام لأجل الشهرة وكثرة المادحين والمترحمين، أَو لأجل خير كثير كبير أصابوه ثم وقعوا في الكفر.

وقال الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الزمر]، هذا الكلام موجه للنبي صلى الله عليه وسلم والأُمة أَجمعين، وقد قاله الله لغيره من الأَنبياء أَيضًا، من أَشرك يبطل عمله ويكون من الخاسرين، فلا تتهاون في تكفير من وقع بالكفر، ولا تخسر نفسك لأَجل خاسر، وتذكر لا يوجد في الإسلام استثناء ولا محسوبية في تنزيل الأَحكام، مهما كانت مكانة الشخص.

عنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: "أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟" ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا" [صحيح البخاري].

فاحذر من استثناء أحدٍ من التكفير بعد ظهور أمره، وتذكر من لم يكفر الكافرَ كافرٌ.

■ معتقدات يجب الكفر بها:

ومعنى الكفر بها: أَي اعتقاد بطلانها والبراءة منها وتكفير أَهلها والبراءة منهم.

1- الوطنية: وتعني حب الدولة التي يعيش المرء على أَرضها وفق الحدود المصطنعة، وعقد الولاء والبراء على الوطن، والقتال في سبيله، والوطنية تلغي أُصولًا كثيرة من أُصول الإسلام ومنها عقيدة الولاء والبراء، فالمواطن العراقي المسلم مثلًا أَخو المواطن العراقي الكافر في مفهوم الوطنية وهم شركاء في الوطن وحقوقهم متساوية، وبمختلف مسميات الكفار، منهم الرافضة والنصارى واليزيدية وغيرهم، فهم كما يزعمون أَنَّ الدين للَّـه والوطن للجميع، والولاء يكون للوطن والبراء يكون فيه.

الكافر بمختلف مسمياته ليس أَخًا للمسلم والواجب هو البراءة من الكفار وليس جعلهم إخوة، قال اللَّـه عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [سورة الممتحنة]، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات]، قَالَ النبي صَلَّ اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ..." [صحيح البخاري].

النصوص الشرعية من الكتاب والسنة تقضي بأَنَّ المسلم أَخو المسلم، والأُخوة تكون بين المسلمين ولا تكون بين المسلم والكافر، والواجب هو عداوة الكافر والبراءة منه وليس موالاته واعتباره أَخًا.

وكذلك يُرَوّجون من خلال دين الوطنية القتال في سبيل الوطن والتضحية لأَجل الوطن، وبذل المال والروح في سبيله، وهنا يتبين لك إنَّ الوطن صار طاغوتًا ووثنًا معبودًا يقاتلون لأَجله ويوالون فيه ويعادون فيه وغير ذلك. ولهذا يجب الكفر بالوطنية وتكفير من يعتنق الوطنية ويعتقدها والبراءة من هذا الدين وأَهله.

2- الديموقراطية: وتعني حُكمُ الشعب، أَي إِنَّ الشعب هو من يحكم نفسه والبلاد عن طريق وكلائه (نوابه) في مجلس النواب (البرلمان/مجلس الشعب)، وهو الذي يختار القوانين ويشرعها، ويحل ما يشاء ويحرم ما يشاء.

ومن أُسس الديموقراطية هي الانتخابات، ومنها الانتخابات البرلمانية والتي فيها يختار الشعب من يمثله في المجلس التشريعي ويُشرِّع القوانين الوضعية التي تخالف شرع الله، ومنها الانتخابات الرئاسية والتي يختار الشعب فيها من يحكمه وينفذ ما يصدره المجلس التشريعي (البرلمان).

والديموقراطية والانتخابات شركٌ وتشريعٌ وضعيٌّ، وجعلٌ للَّـه أَندادًا، وحكمٌ بغير ما أَنزل اللَّـه، وفسادٌ في الأَرض، وإيمانٌ بالطاغوت باختياره حاكمًا، قال اللَّـه عز وجل: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾[سورة البقرة]، وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [سورة الشورى]، وقال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المائدة]، وقال: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[سورة يوسف]، وقال: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾[سورة الكهف].

ولهذا يجب الكفر بالديموقراطية وتكفير من يعتنقها ويعتقدها، والبراءة من هذا الدين وَأَهله.

3- الإِنسانية: وتعني التعامل مع الناس على أَساس المادة البشرية بعيدًا عن الدين، والمساواة بينهم في كل شيء، وفصل الدين عن المعاملات التي تتم بين الناس بمختلف مسمياتهم.

والإنسانية تدعو إلى المساواة بين الناس في كل شيء، وتدعو إلى الأَحكام الوضعية، فمثلًا الإنسانية تدعو إلى المساواة في الميراث بين الرجل والمرأة، والله عز وجل قد فرق بينهما في الميراث، قال الله عز وجل: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [سورة النساء].

وتدعو الإنسانية إلى إلغاء أَحكام الدين، كالجزية وقتال الكفار ورجم الزاني المحصن وقطع يد السارق وغير ذلك.

4- العلمانية: وتعني فصل الدين عن الدولة، أَي فصل الدين عن القضاء والحكم بين الناس وجعل الدين محصورًا في الشخص ومكان عبادته.

5- البعثية: وهي مشتقة من حزب البعث، والعقيدة البعثية أَساسها العلمانية والاشتراكية الشيوعية، والتي تهدف إلى محاربة الدين والتدين، وفصل الدين عن الحكم، وكذلك من أُسس العقيدة البعثية هي القومية والتي تهدف إلى نشر الجاهلية المقيتة وعقد الولاء والبراء على القومية وجعلها بدلًا عن الإسلام.

هذا ما تيسر جمعه في هذا الباب، وهناك معتقدات كفرية كثيرة كالمَاسونية والليبرالية واللينينية والماركسية وغيرها، وكلها عقائد كفرية يجب الكفر بها وتكفير من يعتنقها ويعتقدها، والبراءة من هذه الأَديان وَأَهلها.

■ لا عذر لمن ارتكب ناقضًا من نواقض الإسلام:

لا يعذر أَيُّ أَحدٍ وقع في ناقضٍ من نواقض الإسلام، لا يعذر بالجهل أَو التأويل أَو التضليل:

1- لا عذر بالجهل: ويعني إنَّ الواقع في ناقضٍ من نواقضِ الإسلام لا عذر له ويكون كافرًا وإن كان جاهلًا: قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة التوبة].

قال الطبري: "مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ قَوْمٌ جَهَلَةٌ لَا يَفْقَهُونَ عَنِ اللَّهِ حُجَّةً، وَلَا يَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ لَوْ آمَنُوا، وَمَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْوِزْرِ وَالْإِثْمِ بِتَرْكِهِمُ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ" [جامع البيان].

روي عن الشافعي: "لَوْ عُذِرَ الْجَاهِلِ لأَجْلِ جَهْلِهِ لَكَانَ الْجَهْلُ خَيْرًا مِنَ الْعِلْمِ، إِذْ كَانَ يَحُطُّ عَنِ الْعَبْدِ أَعْبَاءَ التَّكْلِيفِ، وَيُرِيحُ قَلْبَهُ مِنْ ضُرُوبِ التَّعْنِيفِ.." [الدر المنثور].

2- لا عذر بالتأويل: ويعني إنَّ الواقع في ناقضٍ من نواقضِ الإسلام لا عذر له ويكون كافرًا وإن كان متأولًا، وقد أساءوا فهم التأويل كثيرًا، وصار أهل البدع يفسرون النصوص وفق أهوائهم ويُعذرون بالتأويل!! قال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [سورة الكهف].

3- لا عذر بالتضليل: ويعني إنَّ الواقع في ناقضٍ من نواقضِ الإسلام لا عذر له ويكون كافرًا وإن كان متعرضًا للخداع والتأويل: قال الله عز وجل: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف].

وقال: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (66) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ (67) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [سورة الأحزاب]، "أَضَلُّونَا": تعرضوا للتضليل فماذا كان مصيرهم؟ النار وبئس المصير.

قال أبو بطين: "فالمدعي أن مرتكب الكفر متأولًا أو مجتهدًا مخطئًا أو مقلدًا أو جاهلًا، معذور، مخالف للكتاب والسنة والإجماع" [الانتصار لحزب اللّه الموحدين].

قال برهان البقاعي: "لو فتحنا باب التأويل على مصراعيه ما كفر أحد على وجه الأرض"[تنبيه الغبي في تكفير ابن عربي].

ولو كان هناك عذر بالجهل أو التأويل أو التضليل لكان اليهودي والنصراني والمجوسي أولى به من المنتسب إلى الإسلام، لكون أُولَئِكَ تعرضوا للخداع والتضليل من المُلوك والأحبار والرهبان، وحُرفت كتبهم وفسرت وفق الأهواء، ولُبِّسَ عليهم حتى جهلوا المطلوب منهم،

وتعرضوا للتلبيس والتضليل وتفسير النصوص وفق الأَهواء أَكثر مما تعرض له المنتسبين إِلى الإِسلام، ولكن لم يعذروا، فكيف يُعذر من زعم الإِسلام وقرأ كتاب الله، وكتاب الله بين يديه!!، لا يعذرون ونسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة.

وعجبًا من قومٍ يعذرون بالجهل ويعذرون بالعلم!! الجاهل عندهم معذور بجهله، والعالم معذور باجتهاده وتأويله، وإِذا عُذر العالم بالعلم والتأويل، وعُذر المَشهور بالشهرة وكثرة المصنفات، وعُذر الجاهل بجهله وتأويله وسوء فهمه، وعذر المُقلد بتقليده وتضليل المضلين له، فهنا عُطل الدين واستوى الكافر مع المسلم، والمحسن مع المجرم، وهذا يخالف الكتاب والسنة بلا شك، ولكن هذا هو مذهب الزنادقة الذين يعطلون تكفير الكافر ويخرجون التكفير من الدين ويجعلونه فتنة والله المستعان.

قال الله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[سورة القلم]، إِنَّ الله عز وجل فرق بين المجاهد والقاعد وبين الذي أَنفق وقاتل قبل الفتح وبعده، فكيف بالواقع في نواقض الإِسلام الكافر والمتجنب لنواقض الإِسلام الموحد!، قال الله عز وجل: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾[سورة النساء]، وقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾[سورة الحديد]

■ حكم الإِعانة على فعل ناقضٍ من نواقض الإِسلام:

من أَعان على فعل ناقضٍ واحد من نواقضِ الإِسلام بكلمة أَو حرف فقد أَعان على الكفر، ومن أَعان على الكفر فقد كفر، والدال على الشيء كفاعله، قال الله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة المائدة].

ومن صور الإِعانة على فعل نواقض الإِسلام:

1- النصح والتحريض على فعل الناقض، كالنصح بالتحاكم إِلى الطاغوت والتحريض عليه، وغيره من النواقض.

2- الدلالة على الناقض، كالدلالة على المحكمة الطاغوتية، مثلًا فلان سأل أَين المحكمة في هذه المدينة أَو كيف أَصل إِلى المحكمة، فيُجيبه ويدله على المحكمة، ونفس الشيء بالنسبة لبقية نواقض الإِسلام.

3- المساهمة في فعل الناقض: كمن يقوم بنسخ الوثائق الخاصة بقضية ما في المحكمة الطاغوتية، وكذلك المساهمة في بناء المؤسسات الطاغوتية والمعابد، ومن يبيع الشعارات الكفرية للرافضة أَو يقوم بتأجير الخيم لهم لفعل شعائرهم الكفرية، وغير ذلك.

وأيضًا كل من رضي بالكفر أَو وافق عليه يكون مرتكبًا لناقضٍ من نواقض الإِسلام حتى لو لم يفعله.

▪ التوحيد أَعظم مصلحة والكفر والشرك أَعظم مفسدة:

اعلم إِنَّك في هذا الطريق سترى الكثير مِن شياطين الإِنس يزينون لك الكفر ويبررونه لك بحججٍ المختلفة، ومنها المَصلحة والضرورة، والضرورات تبيح المحظورات، وجلب المصلحة ودفع المفسدة، أَي يقولون لك افعل الكفر أَو قل به لأَجل المصلحة ودفع المفسدة ونحو ذلك، ويأتون إِليك بالشبهات وبنصوصٍ مفسرة وفق أَهوائهم، ولكن لا توجد مصلحة أَعظم من مصلحة التوحيد، فالتوحيد أَعظم مصلحة والكفر والشرك أَعظم مفسدة، ولا يجوز إِفساد أَعظم مصلحةٍ بارتكابِ أَعظم مفسدةٍ، لتحصيلِ مصلحةٍ أَدنى من المصلحة العظمى، سواءً كانت المصلحة دنيوية أَو شرعية، مثل لبس الصليب أَو الانتماء إِلى جيش الطاغوت لمصلحة الجهاد.

قال اللّـه عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة يونس]، قال أبو جعفر الطبري: "يَعْنِي: أَنَّهُ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ مَنْ سَعَى فِي أَرْضِ اللَّهِ بِمَا يَكْرَهُهُ وَعَمِلَ فِيهَا بِمَعَاصِيهِ" [جامع البيان].

ونحو هذا، إنَّ اللَّـه لا يصلح العمل الفاسد ولو تم بنية صالحة، فصاحب البدعة مثلًا لن يؤجر على بدعته ولو كانت نيّتهُ من عمل هذه البدعة التقرب إلى اللَّـه، والجهاد خيرٌ ومن جاهد له أجرٌ لو كان جهاده في سبيل اللَّـه، ولكن فلان يريد أَنْ يجاهد بالانضمام إلى جيش الطاغوت لينغمس فيه في نهاية الأمر، هنا عمل الرجل غير صالح رغم كون نيته صالحة مثل الجهاد والإثخان بالعدو، بل ومن يفعل مثل هذا يخرج من الإسلام، وهكذا فإنَّ صلاح النِّيّة لا يُصلح العمل الفاسد، بل حتى لو منع المسلم من الصلاة علنًا ولم يسمحوا له بأداء الصلاة إلا بفعل كفري، لما جاز له أَن يفعل الكفر أَو يقوله، بل يصلي سرًا.

قال ابن تيمية: "فَإِنَّ الشِّرْكَ وَالْقَوْلَ عَلَى اللَّـهِ بِلَا عِلْمٍ وَالْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالظُّلْمَ: لَا يَكُونُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ الْمَصْلَحَةِ" [مجموع الفتاوى].

ولا رخصة لقول الكفر أَو فعله إلا في حالة الإكراه، قال الله عز وجل: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النحل]، وللإكراه شروط، وقد تهاون بها الكثير، وجعلوا الضرورة والخوف والظنون من الإكراه، وليست الضرورة إكراهًا، ولكن هان عليهم أَمر دينهم وسَوَّغُوا لأَنفسهم الكفر بذريعة الإكراه، والذين قبلكم كانوا يمشطون بأمشاط الحديد وتشق رؤوسهم، وما يصدهم كل هذا عن دينهم.

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا، قَالَ: "كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ. وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ" [صحيح البخاري].

▪ ماذا يفعل من وقع في الكفر أو لم يحقق التوحيد أَصلًا:

من لم يحقق التوحيد أَصلًا، يتبرأ من الذي كان عليه، ويتبرأ مِنْ كل مَن كان على شاكلته، وينطق بالشهادتين ويحقق التوحيد الذي بيّنّا كيفية تحقيقه، وأَمَّا من كان محققًا التوحيد ثم وقع في ناقضٍ من نواقض الإسلام، فعليه التوبة من الكفر الذي وقع فيه، والتوبة تكون بالإقرار بالذنب والبراءة منه، والندم على فعله والعزم على عدم العودة إِليه، والنطق بالشهادتين:

1- الإقرار بالذنب: من شروط التوبة الإقرار بالذنب والبراءة من الكفر الذي وقع فيه، وهو اعتراف مرتكب الكفر بأنه فعل كفرًا ومن فعل مثل فعلته يكون كافرًا، وبهذا يكون متبرئًا من الكفر وَأَهله.

اعلم هداك الله إِنَّ عدم الإقرار بالذنب والسعي إلى عذر النفس وتنزيه النفس من الكفر والتبرير لها، سبب من أَسباب كفر كثير من الخلق، ترى أَحدهم يأبى أَن يقر على نفسه بالكفر، ويستعظم أَمر التوبة ولا يعترف بذنبه بل ويبرر فعله ويظن أَنَّ تبريره يكون عذرًا له، وهذا من الكبر والعياذ بالله، ولهذا من شروط التوبة الإقرار بالذنب، أَنْ تقر إِنَّ الفعل الذي كنت تفعله كفر، ويجب أَن تتركه ولا تفعله مجددًا، وتتبرأ من فعل الكفر ومن يفعله، والإقرار بالذنب فعله الأَنبياء الذين هم أَفضل وأَعظم قدرًا من بقية الناس، فمن أَنت حتى لا تقر بفعلك؟

قال الله عز وجل: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء]، قال ابن عباس: "معترفًا بذنبه، تائبًا من خطيئته" [**جامع البيان**].

قال الله عز وجل: ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (**46**) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة هود]

قال الله عز وجل: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (23) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [سورة ص].

لقد تاب الأَنبياء واعترفوا بأَخطائهم وهم أَفضل الناس، فمتى ستتوب وتعترف؟ التوبة ليست عيبًا وليست منقصة!!، والمعاندة لا تؤدي إلَّا إلى الهلاك، وهي من المكابرة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ ". قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ" [صحيح مسلم].

ومعنى بطَرُ الحقِّ: دفعه وإنكاره ترفعًا وتجبرًا، ومعنى الغمط: الاستهانة والاستحقار، فالمتكبر يعظم نفسه ويرى نفسه عالية، فهو على الحق بزعمه ومن يخالفه على الباطل، فإذا سمع بالحق أَنكره وترفع عنه، وإذا رأى غيره من الناس استهان بهم واستحقرهم ونظر إليهم نظرة دونية.

ولهذا من أَسباب رفض الحق هو التكبر، لأَن المتكبر يستعظم نفسه ورأيه مهما عرضتَ عليه الدليل، ويستحقر مقابله ويسفهه ويراه دون نفسه وعلمه وحكمته، ومن لسان حال المتكبرين كيف نقبل بالحق من فلان أ لم يكن فلان كذا وكذا سابقًا، وفلان صغير بالعمر لا علم له، أَو فلان كبير بالعمر أصابه الخرف، أَو يتهمون المقابل بتهم باطلة لكي تكون حجة لهم في رد الحق، وحججهم التي يحتجون بها لرفض الحق كثيرة فهم يبررون لأَنفسهم ويحتجون بـحجج واهية لإقناع النفس بأَنها على الحق وهم في أَعماقهم يعلمون أَنهم على الباطل، وهذا ما وقع فيه الكفار في رفضهم لدعوة الرسل.

2- الندم عليه والعزم على عدم العودة إليه: من شروط التوبة الندم والعزم على عدم العودة إليه، والندم يكون بالأسف على ما فعله ويكون لسان حاله ليتني لم أَفعل كذا، ويعزم على عدم العودة إلى كان يفعله.

3- النطق بالشهادتين: وهو قول: أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وهذا لتجديد الإيمان.

▪ فضائل التوحيد:

للتوحيد فضائل كثيرة ونذكر ما تيسر منها:

1- لأجل التوحيد خلقنا الله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات].

2- بالتوحيد تُقبل الأَعمال الصالحة وبدونه لا يُقبل أَيُّ عمل، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الزمر]، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران]، وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [سورة إبراهيم]

فكل عمل صالح يفعله من لم يحقق التوحيد كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصف، أَي لن تنفعه أَعماله الصالحة وهي هباء.

3- التوحيد سبب لمغفرة الذنب: قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء].

4- سبب في دخول الجنة وعدم الخلود في النار: لقد كرم الله الموحد وجعل عاقبته مختلفة عن عاقبة الكفار، وإِن الموحد الفاسق المقترف للمعاصي خيرٌ من المشرك الواقع في نواقض الإِسلام، وإِن الشرك أَعظم معصية، والتوحيد أَعظم عمل صالح.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ" [صحيح البخاري]، وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي، أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي، أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ. قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ" [صحيح البخاري].

فالمؤمن وإنْ دخل النار بسبب ذنوبه فلن يخلد فيها وستكون عاقبته الجنة، والله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

■ من تمسك بالتوحيد سيرى محاربة شياطين الجن والإنس:

من تمسك بالتوحيد سيُحارب من قبل شياطين الجن والإنس، وأَمَّا شياطين الجن فهذا منذ أَنْ خلق الله آدم - عليه السلام -، وقد أَقسم الشيطان المعلون على إغواءنا، قال اللَّه عز وجل: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة ص]، وقال اللَّه عز وجل: ﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (118) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (119) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة النساء]، وقال: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [سورة الأعراف]، وهو لا يزال يريد إغواءنا وتضليلنا ويأتينا من طرق شتى.

وأَمَّا شياطين الإنس، ففي هذا الزمان الموحد محارب كما حارب الكفارُ الأَنبياءَ وأَتباعهمَ، وستسمع من الناس أَذًى كثيرًا وسترى أَنهم يريدون إغوائك وإِخراجك من دينك، وسيحاربونك بالترغيب والترهيب، فالإسلام عاد غريبًا بين الناس كما كان أول مرة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ" [صحيح مسلم]، كان الإسلام غريبًا في أول مرة بين أُناس مشركين يعبدون الأَصنام، والآن عاد غريبًا ولكن بين أُناس يدعون الإسلام وهم ليسوا مسلمين، بل يحاربون من يتمسك بالإسلام.

عليك أَنْ تصبر وأَنْ لا تستسلم، فقد: "رُمِيَ في النار الخليلُ، وأُضْجِعَ للذبح إسماعيلُ، وبِيع يوسفُ بثمنٍ بَخْس ولَبِث في السجن بضعَ سنين، ونُشِرَ بالمنشار زكرِيًّا، وذُبح السيدُ الحصورُ يحي، وقاسَى الضُّرَّ أيوبُ"[1] وتعرض نبينا محمد عليه الصلاة والسلام لأنواع الأذى، وقتل أصحاب الأخدود في هذا الطريق وعذب الصحابة، وعَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا، قَالَ: "كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ. وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ" [صحيح البخاري].

ولا بُدَّ أَنْ تصبر حتى تظفر بالجنة، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [سورة فصلت]، وقال: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [سورة الإنسان].

■ **أَسباب الهلاك:**

من أَسباب هلاك المرء ووقوعه في الكفر:

1- الجهل: الجهل سبب رئيسي من أَسباب الهلاك، فبسبب الجهل قد يقع المرء في الكفر ويقترف الكبائر، وقد يعادي أَهل الحق، أَو يرد ما قال الله وما قال رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن رد ما قال الله وما قال رسوله صلى الله عليه وسلم فقد كفر.

---

[1] مقتبس من كلام ابن القيم.

بسبب الجهل قدسوا الشخصيات، بسبب الجهل صار الحرام حلالًا والحلال حرامًا، بسبب الجهل وقع الظلم، بسبب الجهل حدثت المعاصي، فجهل بعض الجماعات بالدين جعل

أَعيان جماعته خواصًا وعوامًا مقدسين، وهؤلاء أَشر من الصوفية في هذه المسألة، فالصوفية يقدسون الخواص من طائفتهم والصالحين، وأَمَّا هؤلاء فقدسوا الجميع بمجرد الانتماء إلى طائفتهم أَو جماعتهم.

والجهل جعل بعض الناس يرون الحلال حرامًا، والحرام حلالًا، ومن فعل الحلال فهو مكروه عندهم، ومن فعل الحرام كان صاحب فضيلة، وكل هذا بسبب الجهل.

وجهل بعضهم بشرع الله والعدل والحكم بما أَنزل الله وقعوا في الظلم والحكم بغير ما أَنزل الله.

وكما قيل: الجهل يُري الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، الإنسان إذا كان جاهلًا يرى الشيء القبيح حسنًا ويرى الشيء الحسن قبيحًا، وذلك لجهله لأنه لا يعلم ما هو الحسن وما هو القبيح فينشأ عنده خللًا في التصور، وهذا الخلل يجعله يرى الأَشياء القبيحة ويرى الأَشياء الحسنة سيئةً، وكذلك يرى الكمال نقصًا والنقص كمالًا، والجهل من الأَخلاق السيئة السافلة المذموم.

والإنسان لا يولد عالمًا، وكلنا عندنا جهل في مسائل كثيرة، وهذا ليس عيبًا وكل إنسان عنده نقص، ولكن العيب الكبير والنقص الكبير أَنْ يكون العلم بين يديك فلا تطلبه ولا تكلف نفسك برفع الجهل عنك، ثم تجادل عن الباطل وتدفع الحق بغير علم.

ومن علامات الساعة ظهور الجهل، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَى"، وفي رواية: "أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ" [صحيح البخاري]، وهذا الشرط تحقق ونراه الآن بوضوح.

والجهل في بعض أُمور الدنيا يؤدي إِلى الخسارة، فمن جهل ما الفعل الصحي لجسمه ونفسه، أصابه مرض، ومن جهل ما الجيد وما السيء في السوق وما ينفعه ولا ينفعه خسر ماله، فالجهل من موارد الهلاك من ناحيتي الدين والدنيا، والكلام في هذه المسألة يطول ولكن نكتفي بهذا القدر، ونعوذ بالله من الجهل ونسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة.

2- التكبر: هو تعظيم النفس ورؤيتها فوق غيرها من النفوس والامتناع عن قبول الحقِّ والعناد. والتكبر من أَسباب الهلاك الذي يؤدي إِلى الهلاك والخسارة في الدنيا والآخرة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ". قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ" [صحيح مسلم].

ومعنى بطَرُ الحقِّ: دفعه وإنكاره ترفعًا وتجبرًا، ومعنى الغمط: الاستهانة والاستحقار، فالمتكبر يعظم نفسه ويرى نفسه عالية، فهو على الحق بزعمه ومن يخالفه على الباطل، فإذا سمع بالحق أنكره وترفع عنه، وإذا رأى غيره من الناس استهان بهم واستحقرهم ونظر إليهم نظرة دونية.

ولهذا من أسباب رفض الحق هو التكبر، لأَنَّ المتكبر يستعظم نفسه ورأيه مهما عرضتَ عليه الدليل، ويستحقر مقابله ويسفهه ويراه دون نفسه وعلمه حكمته، ومن لسان حال المتكبرين كيف نقبل بالحق من فلان أ لم يكن فلان كذا وكذا سابقًا، وفلان صغير بالعمر لا علم له، أَو فلان كبير بالعمر أصابه الخرف، أَو يتهمون المقابل بتهم باطلة لكي تكون حجة لهم في رد الحق، وحججهم التي يحتجون بها لرفض الحق كثيرة فهم يبررون لأنفسهم ويحتجون بـحجج واهية لإقناع النفس بأنها على الحق وهم في أعماق أعماقهم يعلمون أنهم على الباطل، وهذا ما وقع فيه الكفار في رفضهم لدعوة الرسل.

قالوا كما ذكر الله عز وجل: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [سورة هود]، وقال الله عز وجل : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (59) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[سورة الأعراف]، قالوا ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، جعلوه ضالًا بمجرد دعوته لهم إلى الحق، استكبروا واستهانوا به وهذا من الكبر، وقالوا لهود عليه السلام : ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[سورة الأعراف].

قال الله عز وجل: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف]، وهنا عرفوا الحق ولكنهم استثقلوا قبوله لأنهم متكبرون.

وقال: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف] وهنا لم يجدوا شيئًا ليذموا به لوطًا - عليه السلام - وآله فذموهم بالطهارة!!

وقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة]، والاستكبار كان سببًا في كفر إبليس.

وهذا هو التكبر الذي خسر بسببه الكفار آخرتهم، والاستكبار يؤدي إلى الخسارة دومًا، وهذا في أُمور الدين، وأَمَّا أُمور الدنيا فنفس الشيء، فإذا نصحت بعض المتكبرين ونهيتهم عما يضرهم في دنياهم استكبروا وأصروا على رأيهم فكانت النتيجة خسائر مادية، ونعوذ بالله من التكبر ونسأله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة.

3- الهوى: وهو ما تحبه النفس وتميل إليه وتهواه وتستلذه، ومن الهوى الخير والشر، ويطلق غالبًا على الميل إلى خلاف الحق، ومن اتبع هواه هوى وضل، والهوى يدعو إلى اتباع ما هو سهل ويسير وخالٍ من التكاليف، والهوى من أَسباب الهلاك والوقوع في الكفر.

قال الله عز وجل: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [سورة البقرة]، وقال: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [سورة الروم]، وقال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۚ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ [سورة النجم].

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة].

هكذا هم أَهل الأهواء من الكفرة والمبتدعة لو أتيتهم بكل دليل واضحٍ بَيِّنٍ ما تبعوا منهجك وعقيدتك، وقد يعلمون الحق ولكنهم لا يجهرون به ويكتمونه وهم يعلمون أَنهم على الباطل وإنك على الحق، مثل اليهود والنصارى تمامًا، قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة]. لو أَتيتهم بكل دليل لن يتبعوا الحق، وطالب الحق يكفيه دليل واحد، وصاحب الهوى لن يكفيه ألف دليل كما قيل، وقد يكون الهوى حقدًا أَو حسدًا أَو شهوة أَو مصلحة، من اتبع الهوى هوى، فمن يتبع الهوى قد يكذب ويفتري ويفجر في الخصومة ويخلف الوعد ويوالي المرتدين ويبيح الحرام ويحرم الحلال ويزني ويسرق، ويستهزئ بالدين ويفعل أُمورًا كثيرة من الكفر أَو المعاصي.

4- اللسان: اللسان سبب كبير من أَسباب الهلاك في الدنيا والآخرة، وكثيرٌ مِنَ الناس مَنْ يتكلم دون أَي مبالاة، فتراه يغتاب هذا وذاك وهذه وتلك، ويطعن ويفتري ويكذب، ولا يهتم لكلامه ولا يصون لسانه، ومن صمت ليس كمن تكلم، فضرر الصمت أَقل بكثير من ضرر الكلام، هذا إذا كان في الصمت ضرر.

قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ" [صحيح البخاري]، وقال: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ" [صحيح مسلم].

الكلمة ليست هينة، بل لها أثر كبير، بكلمة يقع الطلاق، وقد يكون طلاقًا لا رجعة فيه، بكلمة قد تهدم ثقة بُنيت في سنين، بكلمة قد تخرج من الملة وتكون كافرًا، وبكلمة تكون فاسقًا تستحق ثمانين جلدةً وشهادتك تكون مردودة، قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة النور].

وبكلمة قد تسكن ردغة الخبال، قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "..وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ" [سنن أبي داود]، وبكلمة قد تدل على الشر وتعين عليه، وبكلمة قد تبني ما فسد، وبكلمة تصلح، وبكلمة تنقذ نفسك من الكفر، "وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ" [صحيح البخاري]، وبكلمة قد تمنع مشكلة كبيرة، وبكلمة قد تدل على الخير وتعين عليه، ولكن الناس لا يبالون لكلامهم، فهم يتكلمون بكلمات كثيرة وعن أُناس كثر، ولا يراجعون أنفسهم، والله المستعان.

قال الله عز وجل: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق]، وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ" [صحيح البخاري].

وقد قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "مَنْ عَدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ" [مصنف عبد الرزاق].

قلت: كثير من الناس لا يعدون كلامهم من عملهم فيجازفون به ولا يتحرون ولا يتبينون وأغلب الناس يطلقون ألسنتهم دون أي مبالاة، وقد يتكلم أحدهم بكلمات تخرجه من الملة وهو لا يعلم ولا يحسب لها حسابًا.

قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "...رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ". ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟" قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: "كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا". فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ" [سنن الترمذي].

فانظروا إلى أثر اللسان!! واللسان قد يكون خنجرًا للقلب إذا أردت وقد يكون بلسمًا، فإياكم إياكم أن تجعلوا ألسنتكم خناجر مسمومة، واحذروا أشد الحذر من اللسان، ولا تطلقوا ألسنتكم، واللسان إذا أطلقته انطلق وتعود، ولهذا عَودوا ألسنتكم على الكلمة الطيبة وعلى الصمت، فكم من كلمةٍ أو كلمات تسببت لك بحدثٍ لم تكن تتوقعه ولربما تسببت لك بحدثٍ كبير، وكان في الصمت ما يغنيك عن هذه المشاكل، واحذر مما تكتب وتنشر، فالأصابع نظيرة اللسان.

5- مصاحبة ومجالسة أهل البدع والضلالات: مصاحبة أهل البدع تعني سلوك طريقهم واتباع نهجهم، فقد رُوي عَنِ النَّبِيِّ صلى اللّـه عليه وسلم أنه قَالَ: "الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ" [مسند أحمد].

وقال الشاعر:

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ ... ولا تَصْحَبِ الأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرّدِي

عَنِ المَرءِ لا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينَتِهِ ... فَكُلُّ قَرِينٍ بالمُقَارَنِ يَقْتَدِي

مسألة الأَصحاب من المسائل المهمة في حياة المرء لتأثيرهم على حياته من حيث يشعر أَو لا يشعر، وللصحبة تأثير كبير على حياة المرء، فكم من صالح أفسدته الصحبة الفاسدة، وكم من فاسد أصلحته الصحبة الصالحة، فأخبرني من صديقك وخليلك ومن تحب، سأخبرك من أَنتَ. وصحبة الصالح للفاسق مثل وضع فاكهة صالحة مع فاكهة فاسدة متعفنة، ولن تمر ساعات إلَّا وانتقل الفساد والعفن إلى الفاكهة الصالحة إلى أن تفسد الفاكهة الصالحة تمامًا، وهكذا هو تأثير الصاحب الفاسد، لا بد أن يتأثر المرء به ويأخذ صفة من صفاته، فالصاحب ساحب، والصحبة أخذ وعطاء في الصفات.

قال النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَثَلُ جَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ؛ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ؛ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً" [صحيح البخاري]

وقد نهى السلف عن مصاحبة أَهل البدع ومجالستهم، والخلطة الفاسدة وصحبة السوء تفسد المرء.

قال ابن بطة: "يَا أَخِي - عَصَمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْفِتَنِ، وَوَقَانَا وَإِيَّاكَ جَمِيعَ الْمِحَنِ - أَنَّ الَّذِي أَوْرَدَ الْقُلُوبَ حِمَامَهَا، وَأَوْرَثَهَا الشَّكَّ بَعْدَ اتِّقَائِهَا هُوَ الْبَحْثُ وَالتَّنْقِيرُ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، عَمَّا لَا تُؤْمَنُ فِتْنَتُهُ، وَقَدْ كُفِيَ الْعُقَلَاءُ مُؤْنَتَهُ، وَأَنَّ الَّذِي أَمْرَضَهَا بَعْدَ صِحَّتِهَا، وَسَلَبَهَا أَثْوَابَ عَافِيَتِهَا، إِنَّمَا هُوَ مِنْ صُحْبَةِ مَنْ تَغُرُّ أُلْفَتُهُ، وَتُورِدُ النَّارَ فِي الْقِيَامَةِ صُحْبَتُهُ"، ثم نقل الروايات التي جاءت في النهي عن مجالسة وسماع أَهل البدع:

قِيلَ لِلْأَوْزَاعِيِّ: "إِنَّ رَجُلًا يَقُولُ: أَنَا أُجَالِسُ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَأُجَالِسُ أَهْلَ الْبِدَعِ "، فَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: "هَذَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يُسَاوِيَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ"

قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: "لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا تَعْرِفُونَ"

قَالَ ابْن عَبَّاس: "لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مُمْرِضَةٌ لِلْقُلُوبِ"

قال مُصْعَب بن سَعْد: "لَا تُجَالِسْ مَفْتُونًا، فَإِنَّهُ لَنْ يُخْطِئَكَ مِنْهُ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ، إِمَّا أَنْ يَفْتِنَكَ فَتُتَابِعُهُ، وَإِمَّا أَنْ يُؤْذِيَكَ قَبْلَ أَنْ تُفَارِقَهُ"

قَالَ هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ: قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ سِيرِينَ: "إِنَّ فُلَانًا يُرِيدُ أَنْ يَأْتِيَكَ، وَلَا يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ قَالَ: قُلْ لِفُلَانٍ: لَا مَا يَأْتِينِي، فَإِنَّ قَلْبَ ابْنِ آدَمَ ضَعِيفٌ، وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ أَسْمَعَ مِنْهُ كَلِمَةً، فَلَا يَرْجِعُ قَلْبِي إِلَى مَا كَانَ"

قَالَ الْفُضَيْلُ: "لَا تَجْلِسْ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ"

قال مُحَمَّد بن النَّضْرِ الْحَارِثِيّ: مَنْ أَصْغَى بِسَمْعِهِ إِلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ، نُزِعَتْ مِنْهُ الْعِصْمَةُ، وَوُكِلَ إِلَى نَفْسِهِ" [**الإبانة الكبرى**].

والروايات التي رواها ابن بطة في هذا الباب كثيرة ونقلنا ما تيسر منها، وقد نهيت أكثر من شخص ممن كانوا يصاحبونني عن أهل البدع والاستماع إليهم وقراءة كتبهم، والذين لم يسمعوا كلامي وتوغلوا في قنوات أهل البدع وكتبهم صاروا منهم ومن لم يَصِرْ منهم دخلت الشبهات قلبه وجاءني لكي أرد على الشبهات التي وقعت في قلبه، ونسأل الله السلامة والعافية.

قال ابن بطة: "فَاللَّهَ اللَّهَ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، لَا يَحْمِلَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ حُسْنُ ظَنِّهِ بِنَفْسِهِ ، وَمَا عَهِدَهُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِصِحَّةِ مَذْهَبِهِ عَلَى الْمُخَاطَرَةِ بِدِينِهِ فِي مُجَالَسَةِ بَعْضِ أَهْلِ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ، فَيَقُولُ: أُدَاخِلُهُ لِأُنَاظِرَهُ ، أَوْ لِأَسْتَخْرِجَ مِنْهُ مَذْهَبَهُ ، فَإِنَّهُمْ أَشَدُّ فِتْنَةً مِنَ الدَّجَّالِ ، وَكَلَامُهُمْ أَلْصَقُ مِنَ الْجَرَبِ ، وَأَحْرَقُ لِلْقُلُوبِ مِنَ اللَّهَبِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ النَّاسِ كَانُوا يَلْعَنُونَهُمْ ، وَيَسُبُّونَهُمْ ، فَجَالَسُوهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ ، وَالرَّدِّ عَلَيْهِمْ ، فَمَا زَالَتْ بِهِمُ الْمُبَاسَطَةُ وَخَفِيُّ الْمَكْرِ ، وَدَقِيقُ الْكُفْرِ حَتَّى صَبَوْا إِلَيْهِمْ" [**الإبانة الكبرى**].

■ **أَسباب النجاة:**

1- تمسك بالتوحيد الذي ذكرته وحققه، وتجنب نواقض الإسلام، وتجنب أَسباب الهلاك.

2- اطلب العلم: من أَسباب النجاة هو طلب العلم من مصادره الصحيحة وهما الكتاب والسنة وبفهم السلف، واترك طلبه من أَهل البدع وخاصة المعاصرين منهم، وتمسك بمذهب السلف مباشرة دون تأويلات أَهل الأهواء.

3- صاحب الموحدين الصالحين.

4- اجعل هواك تبعًا للحق: إذا رأيت نفسك تخالف الحق، فلا تتهم أَهل الحق بوقوعهم في الباطل، وَإِنَّما اتهم نفسك وصحح مسارك وجدد التوبة والإيمان وراجع نفسك بشكل دوري، ولا تتكبر ولا تعاند، ولك في إبراهيم عليه السلام وابنه أُسوة حسنة، قال الله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [سورة الصافات]، فانظر إِلى إِبراهيم وابنه عليهما السلام، كلاهما لم يترددا فيما جاءهما من الحق رغم صعوبة الموقف لكليهما، ولكن إِبراهيم وابنه كانا على يقين، ومع الحق، ولا شيء أهم من الحق عندهما.

5- لا تقدس أحدًا: التقديس واستثناء المُقَدَّس من الأَحكام والحدود والعقوبات سبب للهلاك، وترك التقديس سبب للنجاة، ولا استثناء ولا محسوبية في تنزيل الأَحكام مهما كانت مكانة الشخص، عنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟ " ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا" [صحيح البخاري].

6- قلل الاختلاط بالمجتمع قدر الاستطاعة، لأَنَّ البيئة الفاسدة إذا لم تفسدك بالكلية ستفسد جزءًا منك.

7- الدعاء: الدعاء بالثبات على التوحيد من منهاج الأَنبياء والصالحين، قال الله عز وجل: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [سورة آل عمران]

وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (**35**) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ۖ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة إبراهيم]، وقال: ﴿إِذ أَوَى الفِتيَةُ إِلَى الكَهفِ فَقالوا رَبَّنا آتِنا مِن لَدُنكَ رَحمَةً وَهَيِّئ لَنا مِنْ أَمرِنا رَشَدًا﴾ [سورة الكهف].

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ". قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: فَقَالَ: " نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُقَلِّبُهَا" [مسند أَحمد].

وهناك أَدعية أُخرى وردت في السنة وعن السلف ويستطيع المرء أَنْ يدعو كيفما شاء، ويجب أَنْ تعلم إِنَّ الدعاء لن ينفع بغير العمل والأخذ بالأَسباب، وكيف يطلب المرء الثبات على الدين وهو معرض عن الدين وطلب العلم، ويعرض عن الحق إِذا خالف هواه.

■ من الآفات المهلكة في هذا الزمان:

1- كرة القدم: وهي فتنة عظيمة من فتن هذا الزمان، وبها أَشغلوا الناس عن الدين وطلبه، وتعتبر هذه اللعبة وسيلة ومن وسائل إلهاء الشعوب، وتزيين اللهو لهم حتى ينشغلوا بها عن التقدم والتطور، ولهذا ترى هذه اللعبة مشهورة جدًا ومقدسةً في الدول النامية والفقيرة أَكثر من غيرها، وما يهمنا نحن في هذه المسألة هو ضرر هذه اللعبة على دين المرء سواءً كان يلعبها أَو يشاهدها:

أَولًا: لعب كرة القدم: لعبة كرة القدم تحتوي على مخالفات شرعية منها ما هي مخرجة من الملة ومنها ما هي معصية.

1- كرة القدم تحتوي على التحاكم إلى الطاغوت: في ديننا كل خلاف صغيرًا كان أَو كبيرًا يجب أن يرد إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۖ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة النساء]، وقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة الشورى].

وأَمّا في كرة القدم فإن الخلاف والنزاع يُرد إلى قوانين الفيفا، ففي كل اعتراضٍ خاطئ أَو عنيف أَو ضربة مقصودة أَو غير مقصودة أَو إصابة أَو كسر، يُرد الحُكم في المَسألة إلى قوانين الفيفا يحكم بها حكم المباراة، وفي شرع الله كل شيء له حكم، مثل القصاص والمُعاقبة بالمثل أَو التعزير أَو الدية، ولكن في كرة القدم لا حكم إلا بقوانين الفيفا، قال الله عز وجل: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة المائدة].

2- الضرر البدني في كرة القدم: في كرة القدم ضرر كبير على البدن، ولا يكاد ينجو أَحد من الإصابات الموجودة في اللعبة، والتي قد يبقى أَثرها مدى الحياة، ومن السفاهة أن يؤذي الإنسان نفسه ويصيب نفسه بعاهة دائمة ولا علاج لها لأَجل كرة القدم!! وأَعرف أَكثر من شخص دخل هذه اللعبة وأُصيب إصابات بالغة وخسر أَموالًا طائلة لمعالجة هذه الإصابة!! والإضرار بالنفس حرام، والإصابة فيها ليست نادرة، وإنما يغلب الظن حدوث الإصابة والضرر بالنفس بسبب لعب هذه اللعبة.

3- لبس ملابس الكفار التي تحتوي على راياتهم: الذي يلعب كرة القدم غالبًا يرتدي الملبس الخاص باللعبة، والملابس الخاصة بكرة القدم لا تخلو من شعارات الكفار وراياتهم وصلبانهم والترويج لمنظماتهم الكفرية وغير ذلك، فمثلًا ملابس نادي برشلونة تحتوي على الصليب بالإضافة إلى الترويج للشركة أَو المنظمة الراعية للنادي، مثلًا في السابق كانت منظمة يونيسف هي الراعية، والآن سبوتيفاي، وكل هذا من الترويج للباطل، بالإضافة إلى وجود أَسماء اللاعبين الكفرة الفجرة على الملابس، ورفع أَسماء هؤلاء الكفار يعني تعظيمهم أَو الاقتداء بهم، أَذلهم الله وأَنت تعظمهم وتقتدي بهم؟ إذا قال قائل إني لا أُعظمهم أَو أَقتدي بهم، نقول له: تخيل لو رأى الصحابة شخصًا لبس ملبسًا وفي ظهره كُتب اسم أحد الكفار، مثلًا: أَبو جهل أَو أَبو لهب أَو عقبة بن أَبي معيط أَو النضر بن الحارث، فماذا كانوا سيفعلون به أَو يقولون له؟

ولا يجوز ارتداء الملابس التي تحتوي على الصليب أَو رايات الكفار التي هي مثل الصليب، وَرَمزٌ للكفر والكفار وحكوماتهم.

فالصليب يرمز إلى تأليه عيسى عليه السلام واعتقاد إنه إله عند النصارى، ولهذا هو رمز من رموز الكفار، والرايات الحكومية (أَو ما يسمى العلم) وهي مجرد قطعة قماش ملونة من صنع الطاغوت ترمز إلى الأَرض ونظام الحكم وَإِلى الدولة الطاغوتية والعقيدة الوطنية، وهذه القطعة معظمة جدًا عند الطواغيت والوطنيين وكيف لا؟! فهم اتخذوها إلهًا والعياذ باللّـه، وهذه الراية حالها حال صنم العجوة الذي كانت قريش تصنعه ثم تأكله، ولو سقطت المنظومة الطاغوتية الحالية وجاءت منظومة أُخرى سيكفرون بالراية القديمة كونها من بقايا النظام البائد وسيكون حملها جريمة وفق النظام الجديد كما حدث في العراق وسوريا وليبيا، ولهذا الرايات أَيضًا رمز من رموز الكفر.

وكذلك يوجد في كرة القدم اسم وشعار أَو رمز ما يسمى بـ"نايك" NIKE، وهذا الاسم هو اسم وثن معبود كانوا يسمونه إله النصر، وتعالى الله عما يشركون، وهذا الرمز أَيضًا مثل

الصليب والرايات في الحكم، وقد يقول قائل ما الدليل إن نايك هو اسم وثن؟ الجواب اذهب الموقع الرسمي للشركة أَو قم بعمل بحثٍ صغير عن الموضوعِ وستعرف إن هذا الكلام مأخوذ من أفواههم وليس مجرد ادعاء.

وأسألك لو كنت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أَو في زمن الخلافة الراشدة ورآك الصحابة وأَنت تلبس مَلبسًا عليه شعار ورموز الكفار أَو اسم وثنٍ للكفار أَو ما يرمز للوثن فماذا كانوا سيفعلون بك أَو بماذا كانوا سيحكمون عليك وفق اعتقادك؟

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: "رَأَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ، فَقَالَ: أَأُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذَا؟ قُلْتُ: أَغْسِلُهُمَا؟ قَالَ: بَلْ أَحْرِقْهُمَا"، وفي رواية أُخرى قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ، فَلَا تَلْبَسْهَا" [صحيح مسلم]، إذا كانت مشابهة ملابس الكفار في اللون والهيئة غير جائزة ومنهية عنها، فما بالك في لبس الملابس التي تحتوي رايات الكفار أَو الصليب أَو أَسماء ورموز الأوثان، ولهذا من لبس ملبسًا عليه شعار الكفار فقد كفر، إلَّا أن يكون جاهلًا لحقيقة الرمز، مثل جهل الكثير لحقيقة اسم نايك.

ثانيًا: مشاهدة كرة القدم: إنَّ المشاهد للعبة كرة القدم إمَّا يشاهد ويشجع منتخب بلاده الوطني أَو يشاهد النوادي الأجنبية.

والمنتخب الوطني يلعب لأجل الوطنية ورفع راية الوطن، وينشد نشيد الوطن، ويعتبرون اللاعب بمثابة الجندي المدافع عن بلده، وكل هذا يندرج ضمن شعائر دين الوطنية التي يجب الكفر به، والمشاهد يتفاعل معهم ويتمنى فوزهم في اللعبة وإذا خسروا حزن وأصابه الهم.

فأين الولاء والبراء؟ ولمن ولاؤه وبراءه ممن؟ لا شك إن مشاهدته للعبة المنتخب ليس لمجرد الترفيه وَإِنَّما هو من باب الموالاة للوطن وتمني ظهور المنتخب الوطني، بالإضافة إلى توغل محبة المنتخب وعناصره من اللاعبين إلى قلبه، فانظر كيف صار المشاهد وطنيًّا!!

وقال الله عز وجل: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة المجادلة].

تريد أن تكون من فئة: ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وأَنت تكن في قلبك المودة والمحبة للكافرين!! ولم تحقق ما حققه الصحابة!!

ونفس الشيء بالنسبة لمشاهدة مباريات النوادي الأَجنبية فهو يتفاعل معهم ويفرح لهم ويحزن معهم ويحبهم وقد يسب الحكم إذا حكم عليهم أَو بما يخالف قوانين الفيفا!!

ولعبة المنتخبات والنوادي فيها حكم بغير ما أَنزل الله وتحاكم إلى الطاغوت كيف يطيب للمرء أَن يجلس ويشاهد مجلسًا فيه كفر بالله!! قال اللّـه عز وجل: ﴿وَقَد نَزَّلَ عَلَيكُم فِي الكِتابِ أَن إِذا سَمِعتُم آياتِ اللَّهِ يُكفَرُ بِها وَيُستَهزَأُ بِها فَلا تَقعُدوا مَعَهُم حَتّى يَخوضوا في حَديثٍ غَيرِهِ إِنَّكُم إِذًا مِثلُهُم إِنَّ اللَّهَ جامِعُ المُنافِقينَ وَالكافِرينَ في جَهَنَّمَ جَميعًا﴾ [سورة النساء].

2- لعب الأَلعاب الالكترونية: الأَلعاب الالكترونية الموجودة على منصات الأَلعاب كالحاسوب والبلايستيشن مثل PS4 وPS5 واكس بوكس والهواتف الذكية وغيرها، هي فتنة من الفتن الحديثة التي لم يشهدها أحد في العصور الماضية، ومكمن الخطر في هذه الأَلعاب هو وجود الكفريات فيها، مثل مشاهد إحياء الأموات وقيامهم من القبر، ومشاهد ادعاء شخصيات اللعبة الأُلوهية والنبوة، ودخول جهنم والخروج منها، وإمكانية

تغيير الزمان وغير ذلك من العقائد الكفرية التي قد يستنكرها المرء لأول مرة ولكن بمرور الوقت إذا لعب المرء هذه الألعاب سيصير الأمر مستساغًا عنده، بالإضافة إلى وجود الموسيقى والنساء العاريات وشبه العاريات والمشاهد الجنسية وغيرها.

قال اللّـه عز وجل: ﴿وَقَد نَزَّلَ عَلَيكُم فِي الكِتابِ أَن إِذا سَمِعتُم آياتِ اللَّهِ يُكفَرُ بِها وَيُستَهزَأُ بِها فَلا تَقعُدوا مَعَهُم حَتّى يَخوضوا في حَديثٍ غَيرِهِ إِنَّكُم إِذًا مِثلُهُم إِنَّ اللَّهَ جامِعُ المُنافِقينَ وَالكافِرينَ في جَهَنَّمَ جَميعًا﴾ [سورة النساء]، نهى الله عن مجالسة الكفار أثناء كفرهم بالله واستهزائهم بآياته وجعل الجالس كالمستهزئ، فكيف بمن يلعب الألعاب ويرى ما يرى من الكفريات ويباشرها بيده عبر جهاز التحكم!!

3- المدارس والجامعات: تعد المَدارس والجامعات من الفتن العظيمة في هذا الزمان، لكونها مدارس طاغوتية، تقام فيها شعائر كفرية، وتدرس فيها مناهج كفرية تخرج المرء من الملة، سواءً كان هو طالبًا أَو أَبًا أَرسل ابنه ليكون طالبًا، وكذلك الجامعات فيها الكثير من المهلكات، وقد تكلمنا بشكل مفصل عن هذه المسألة في كتاب: [**العلل المانعة من الدراسة في المدارس والجامعة – الطبعة الثانية**]، وبما يغني عن الإعادة.

■ الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، قد بيّنا لكم بفضل الله التوحيدَ الذي من حققه ولم يقع في أَيِّ ناقضٍ من نواقض الإسلام التي ذكرتها ولم أَذكرها، وتجنب المهلكات، وحقق الولاء والبراء، وأقام الصلاة، صار مسلمًا موحدًا معصوم الدم والمال، ولا يباح دمه إلَّا بنصٍّ شرعيٍّ، وأَذكر بعض ما يبيح الدم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مَسعُود قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ : النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ" [صحيح البخاري]، ومن حقق التوحيد كان أهلًا لفضائله، ومِن فضائله: تُقبل الأَعمال الصالحة به، ولو مات المرء على التوحيد دخل الجنة، ولم يخلد في النار وإِن دخلها، ولأَجل التوحيد خلقنا الله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات]، فاعملوا على تحقيق التوحيد واجتهدوا لتجنب نواقضه، واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا اللهَ لَعَلَّكم تُفلِحون، والحمد لله رب العالمين.[1]

---

[1] الدال على الخير كفاعله، ساهم في نشر الكتاب واحتسب الأَجر، ونذكر من أَراد أن يطبع الكتاب، ألا يجعل الكتاب في مكان مهين لاحتوائه على أسماء اللَّه عز وجل وآياته وأَحاديث نبيه صلى اللَّه عليه وسلم.

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة

رجب 1445 هـ — الطبعة الأُولى

للتواصل عبر التلغرام @ Kirkuk_Sniper
للاشتراك في القناة انقر على الرابط http://tiny.cc/KirkukSniper



الطبعة الأُولى رجب 1445 هـ